طالباتي وأنا

ما وراء إنتاج فيلم؛ ما الذي نعرفه؟ ما الذي نختبره؟ ما الذي نتعلمه؟

كريمة عوض الله

تتناول التجربة عملية إنتاج الرسوم المتحركة عن طريق تحديد فكرة معينة يتم اختيارها من قبل الطالبات، ثم بنائها على شكل قصة، ومن ثم بناء الشخصيات والأحداث والأمكنة على هيئة سيناريو بصري، وتحويل الشخصيات إلى رسوم متحركة، وإضافة العناصر الفيلمية من موسيقى ملائمة ومونتاج باستخدام وسائط الملتيميديا في الكمبيوتر.

كل عام تزداد الضغوطات، وتتنوع على شعبنا الفلسطيني بصفة عامة، وعلى فئة المعلمين بصفة خاصة، وفي هذا العام الضغوطات المدرسية ازدادت والأعمال الكتابية تكاثرت، وباتت المعلمة مضغوطة بدرجة كبيرة، فأرهقتها الأعمال الكتابية كثيراً؛ تحليل نتائج الاختبارات، دفتر التحضير، سجل الوسائل والأدوات والأجهزة المخبرية، . . . وأصبح الأسهل بالنسبة للمعلمة: الدخول إلى الحصة، شرحها، الكتابة على السبورة، تنفيذ تجربة أمام طالباتها، . . . الخروج. في اليوم التالي تحضير أسئلة الاختبار لقياس ما تم تعبئته في أذهان الطلبة من مفاهيم يصعب حصرها، وذلك في اختبار كتابي، وهكذا إلى نهاية العام الدراسي: اختبار يومي أول وثان، ثم اختبارات الشهرين، ويومي . . ويومي، ثم نهائي. لا وقت لأي من النشاطات اللاصفية، نحصر أنفسنا في الكتاب المدرسي، ولا نرى من المنهاج إلا هو . . . فلا مكان للأنشطة النوعية التي تساعد الطلبة على تنمية معارفهم ومهاراتهم وخيالهم وانفعالاتهم ورؤيتهم للحياة، وبعدها تغلق المدرسة أبوابها، وتصبح مبنى لا فائدة ترجى منه لفترة زمنية طويلة.

أما الطلبة، فالبعض مشغول في متابعة حفظ دروسه، وحل الواجبات المفروضة عليه يومياً، والبعض مشغول بمتابعة برامج ومسلسلات التلفاز التي لا تنتهي، أما البعض فجالس أمام شاشة الحاسوب يمضي وقته في التحدث مع الآخر عبر الماسنجر والفيس بوك. والبعض لا يعرف ما يعمل في أوقات فراغه، ولا أحد يساعده في ملء ذلك

الوقت، وغير ذلك كثير. هذا حال وضعنا التربوي بشكل عام.

قبل نحو العامين اشتركت في ورشة بعنوان «توظيف الوسائط المتعددة في التعليم»، وكانت ضمن المساقات الشتوية التي نظمها مركز القطان للبحث والتطوير التربوي في ذلك الوقت في أريحا، وأشرف على الورشة كفاح الفني. ما تعلمته فيها لم يكن كالذي توقعته، بل كان شيئاً مختلفاً ونوعياً، لم أسمع به من قبل، فهو موضوع جديد، وغني، ويمكن الإفادة منه في كثير من المواضيع لتنميتها عند الطلبة. كان موضوع الورشة يتضمن تحريك الرسوم باستخدام الورق والكرتون. كانت ورشة مرهقة وصعبة وممتعة ورائعة في الوقت نفسه، وتحتاج إلى التركيز والخيال... كما تحتاج إلى الصبر، كانت الورشة كفيلة بتنمية الصبر إن كنت تفتقده، وكفيلة بإعادة إنتاج الإرادة، وتحويل جميع الضغوطات إلى تحديات، وشحنك بالمزيد من العمل.

وضعت الفكرة بين يدي طالبات الصف الحادي عشر العلمي، وذلك لأسباب تتعلق بمنهاج الأحياء. بدأنا العمل، وبعد موافقتهن على المشاركة وتنظيم اللقاءات، بدأت ألاحظ لمعان عيونهن ولهفتهن الدائمة للعمل في الحصص والأوقات المخصصة لذلك، بالنسبة إليهن لا مانع من التأخر بعد نهاية الدوام المدرسي، بل كان ذلك مما يدخل إليهن السعادة، حتى أننا جئنا إلى المدرسة في عطل يوم السبت لاستكمال العمل، أصبحن يدركن أكثر معنى ما يفعلنه ويقدرن أنفسهن بأنهن بإمكانهن إنتاج المواد التعليمية والأفكار المتولدة إليهن. تدربن، عملن وأنتجن ثلاثة أعمال قصيرة كتجربة أولية في الموضوع.

بعد بضعة أشهر، أتيحت لي فرصة التعرف على جاري ويان (وهما متطوعان من أيرلندا وألمانيا) من خلال كفاح، حيث أتيا للعمل ضمن وحدة الملتيميديا في المركز، وشاهدا ما فعلته الطالبات، وما أنجزن من الأفلام الكرتونية القصيرة، حضرا إلى المدرسة، والتقيا مع الطالبات اللواتي كن في الثاني عشر العلمي. تلت ذلك ورشة عمل عن الرسوم المتحركة باستخدام الملتينة، كانت لمدة يومين في عطلة عيد الأضحى مع معلمين آخرين، كانت الورشة شيئاً جديداً بالنسبة لي ولهن، لأنني كنت مشتركة معهن، لست بصفة معلمة، وإنما بصفة مشاركة معهن. تعلمنا معاً وبنينا نماذجنا معاً، وتشاركنا في التصوير والتحريك. هنا زالت أكثر فأكثر علاقة السلطة ما بين المعلمة والطلبات، ومن يمتلكن المعرفة أكثر، وشعرت الطالبات بأمان أكثر وبثقة أعلى، وأنهن يمتلكن معرفة ولديهن القدرة على إنتاجها أيضاً وبصور مختلفة.

للأسف، وقت طلبة الثانوية العامة ضيق كثيراً، لكني عملت مع طالبات الجيل الثاني إن جاز التعبير، وهن طالبات الصف العاشر، واستثمرت حصصهن بمادة التقنية بشكل فعال، ونقلت إليهن الفكرة، لفتُّ انتباههن، وتحمسن للمشاركة، فعملت مع شعبتين، استحضرن الفكرة، حولنها إلى حكاية، تحولت الحكاية إلى شخصيات وأمكنة وعلاقات، جُسمت الشخصيات والأمكنة عبر الملتينة، وصوِّرت وأدخلت في الكمبيوتر، اشتغلن على تحريك الصور كما تطلبتها علاقات الحكاية، أصبح لدينا شريط فيلمي، أضفن المؤثرات الصوتية كما ارتأينها، عرضنها، تناقشن فيما شاهدن، تأملن ثانية فيما فعلن... في الصيف التالي تجددت الورشة مع جاري ويان وكفاح للجيل الثاني حول عمل النماذج من الورق، ومن ثم تحريكها من خلال برامج الحاسوب، ورافق الجيل الثاني طلبة الثانوية العامة بعد أن انتهين من الامتحانات النهائية، تفاعلن معاً وأنتجن معاً، الآن نحن في مرحلة جديدة، طالبات تعلمن يعلمن طالبات أصغر منهن... المشروع الآن يقف على قدمين واثقتين.

شبهت الطالبة روان مشاركتها في المشروع برحلة الغواص، فتقول: **«كانت رحلتي هذه أشبه برحلة الغواص، يغوص في البحر لأول مرة، يتعامل مع كائنات جديدة لم يسبق له أن شاهدها، فهذا الغواص الذي أمضى وقتاً طويلاً في أعماق البحار، لم يذهب وقته سدى، بل كان له عطاء ممتاز للحياة البشرية، وكذلك أنا قدمت لنفسي معلومات جديدة أضفتها إلى قاموسي، فجعلني هذا العمل أشعر بالسعادة، وكثيراً ما نحتاج السعادة في حياتنا اليومية، فعمل هذا العمل على تحفيز نشاطي في استغلال وقت الفراغ بأشياء مفيدة، واستغلال الوقت بشيء مفيد**

يكسبني الشعور بالسعادة» .

وتضيف روان: «أعجبني العمل الجماعي، كنا نتعاون في إنجاز العمل، وأيضاً تعلمنا شيئاً كنا نراه لكن نجهل كيف يصنع، لم نكن نقدر مدى الجهد المبذول لإنتاج المشهد الواحد، أما الآن فأصبحت أمعن في التفاصيل وأدقق في الحركات وأقدر الجهد المبذول، أسعدني العمل في هذا المجال الذي بقيت مشاهده محفورة في ذاكرتي، وأتمنى أن أستمر في هذا المجال وننجز المزيد منه» .

هذا العام انضم الجيل الثالث إلى الفريق، ويضم تنوعاً من الصفوف الموجودة في المدرسة من طالبات الصفوف الثامن، والتاسع، والعاشر، إضافة إلى الجيلين السابقين، والآن يوجد في الفريق تنوع كبير بين الأقران، وهذا مفيد في التجدد والإبداع في الأفكار. وصل عدد الطالبات إلى ما يقارب 55 طالبة .

أما عن دوري، فكما أشرت مسبقاً إلى أنني حقيقة كنت وسيطاً، ومانحة لفرصة مشاركة الطالبات، فأدعي أنني عرفت الطالبات على الموضوع الجديد، وساعدني كفاح أيضاً في مساعدة الطالبات على تحقيق ما يحلمن به، وباعتقادي أن المدرسة بعد مشاركتهن في المشروع أصبحت تعني معنى آخر وأجمل من ذي قبل بالنسبة إليهن .

تقول الطالبة ندى نوح: «من المحطات الجيدة التي مررت بها، والتي أثرت في حياتي بشكل كبير، ومن خلالها اكتشفت أموراً لم أكن أتوقع بتاتاً أن أنتبه إليها، وذلك بانضمامي إلى دورة، ومن أهم الأمور التي تغيرت عندي أن حاسة التركيز لدي أصبحتْ عالية جداً، وأصبحتُ أدقق في كل الأمور، وأحاول أن أحللها، وأستنتج كيفية عملها، وما هي الأدوات المستخدمة وطريقة العمل، فلم تعد مشاهدة الرسوم المتحركة أمراً ترفيهياً فحسب، بل من خلالها اكتشفت كيفية عملها، وأصبحت لدي الكثير من الأفكار التي يمكن أن ننجزها في المدرسة .

أما الطالبة بيان فتقول: «خاصة لما تعلمت برنامج الصوت كنت أي موسيقى مع صوت أميزهم كان حلو كثير» .

وتضيف أسماء: «كانت تجربة حلوة كثير وانبسطنا فيها، واستمتعنا واحنا نشتغل وكنا حاسين إنه عاملين إنجاز لما نخلص كل شغل» .

ومن خلال مراقبتي للطالبات أثناء العمل، ومن تأملاتهن حول التجربة، يمكن إجمال فوائد المشاركة بعمل الرسوم المتحركة بالكثير منها:

- اكتساب الطلبة لمعنى الإنجاز وتحقيق العمل الخاص بهم .
- يرين الأشياء في علاقاتها بعضها ببعض .
- يحولن أفكارهن إلى فنون ويعبرن كما يشأن عبر ذلك .
- ينمين الخيال .
- ينتجن قصصاً .
- تكشف عن هويات الطلبات وتخيلاتهن من خلال الأفكار التي يحاولن ترجمتها .
- العمل ضمن مجموعات والتشارك والتفاعل بها، والإفادة من أخطائهن أو تصحيح أعمالهن بعد قيامهن بتقييمهن وأخذ التغذية الراجعة من أقرانهن .
- كما أن إنجازهن يقلل من شعورهن بالفشل من القيام بأية مهمات جديدة .
- يتعلم الطلبة كيفية احترام الرأي الآخر بشكل أكثر، وإفادة زملائهم بأفكارهم .
- كما أن العمل يعلمهن كيف يتحملن المسؤولية في أثناء إنجازهن،

وترجمة الأفكار إلى وسيلة مرئية، وبناء القصص بعد إنهاء التصاميم.

- تنمية مواهب الطالبات الفنية والإبداعية، وزيادة قدرتهن على التعامل مع الحاسوب بشكل كبير، وغيرها من الأشياء.

تبادل المعرفة والتشارك فيها

بعد تعلم كيفية عمل الرسوم المتحركة، وبعد أن قامت الطالبات بإنتاج المعرفة، قمن أيضاً بالتشارك فيها مع الآخرين، فلم تعد الخبرة والمعرفة التي امتلكتها الطالبات حكراً عليهن، بل ساهمن في التشارك بها مرات عدة أمام أجيال مختلفة.

بداية، كانت من تمتلك معرفة بجهاز الحاسوب تعلمها لزميلاتها، وبخاصة بعد مشاركة بعض الطالبات بورشة عن الصوتيات. كما أنه في الصيف تم الاشتراك مع النادي الصيفي المقام في البلدة (سلواد)، وقامت الطالبات بتعليم من هن أصغر سناً منهن من عمر 3 سنوات إلى 10 سنوات، وكان بينهن تفاعل كبير، وكانت كل من الطالبات الخبيرات مسؤولات عن مجموعة من الصغار لتعليمهم. وفي هذا العام، أيضاً، قامت الطالبات الخبيرات بنقل الفكرة أولاً للطالبات المنضمات للمشروع، كما قمن بإعطاء ثلاث ورش كتمهيد للطالبات الجدد عن كيفية عمل الرسوم المتحركة. كان مشهداً لا يمكن وصفه بالكلام، كنت أنظر إليهن وقد غمرتني سعادة كبيرة قلما أحسست بها، وخففت الكثير من الضغوطات الموجودة حقيقة عندي.

أنا لم أكن إلا وسيطاً فقط بين الطالبات والعمل على التنسيق للورش.

أما الآن، فنحن بصدد إنشاء وحدة عمل في المدرسة لتكون مركزاً لنشاطات الطالبات فيها، ولجعلها مكاناً لتوسيع دائرة مشروع تحريك الرسوم، والانطلاق منها. وذلك من خلال تجهيزها بكل الأدوات والمواد اللازمة للعمل، وذلك بالتعاون مع المتطوعين جاري ويان، ووحدة الملتيميديا في مركز القطان، وبالطبع بعد الموافقة والتشجيع من قبل مديرة المدرسة: آمال حماد.

وأخيراً، أختم بمقتطفات من الطالبة دنيا الشيخ التي تقول: «وحظيت أنا وزميلاتي بالمتعة والفائدة معاً؛ لعل أهمها العمل الجماعي، فعملنا يحتاج إلى مجموعة أفراد ليكون متقناً: فبناء القصة، والأشخاص، والأفكار، ومن ثم تجسيدهم مادياً للمباشرة بالسرد يستلزم عملاً جماعياً». «تعلمت في التجربة أن أكون أكثر صبراً».

«في تجربتي في العمل بالرسوم المتحركة، نمت قدراتي العقلية أكثر، فأصبحت أكثر معرفة بالأشياء الفسيولوجية، لأنه بعملك في صنع فيلم الرسوم المتحركة، عليك أن تضع نفسك في منزلة الصانع والمشاهد في الوقت ذاته، فالعامل أو المبتكر يرى عمله بصورة تختلف عن الصورة التي يراها المشاهد».

«كانت التجربة جميلة جداً وممتعة أيضاً، ملأت وقت فراغنا في العطلة المدرسية، وفتّحت عقولنا على أشياء لم نفكر بها من قبل، وأوصلت لنا أفكاراً جميلة نستطيع أن نفهم من خلالها الحياة من حولنا، وحل المشاكل التي قد تواجهنا بأبسط الحلول، فعلى الرغم من بساطة تجربتنا . . . فأنا أؤمن أن لها تأثيراً كبيراً علينا نحن –جيل المستقبل».

كريمة عوض الله
مدرسة بنات سلواد الثانوية